أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة السابعة والأربعون

سفر النبي يونان (١)

صديقي المستمع، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن، والمسيح المخلص الآتي.

وكنا قد درسنا في اللقاء الماضي نبوءات النبي عاموس، الذي تنبأ عن قصاص الله الذي سيقع على مملكة إسرائيل . ثم تنبأ عن عصر مجيد، عندما يعود الله ويقيم مظلة داود الساقطة، ويبارك فيه جميع الأمم. وعلمنا أن هذه النبوءة قد تحققت، بمجيء المخلص المسيح وإتمام خلاصه، وإعلانه لجميع الشعوب. وهكذا بدأ – بعد حلول الروح القدس – عصر جديد، هو عصر ملكوت الله. وأقام الله بذلك مظلة داود الساقطة.

ننتقل اليوم إلى سفر آخر من أسفار الأنبياء، ألا وهو سفر النبي يونان. ويونان هو الصيغة السريانية للاسم العبري يونة ، ومعناه حمامة. ويونان النبي هو بن امتّاي من قرية جت جافر. هذه القرية التي كانت تبعد ثلاثة أميال عن مدينة الناصرة، في منطقة الجليل بفلسطين. تنبأ يونان في أيام الملك يربعام الثاني ملك السامرة، أي ملك مملكة إسرائيل في الشمال، بالقرن الثامن قبل الميلاد.

وقصة يونان كما دُوّنت في سفره هي حادثة طريفة وغريبة، وتحمل الكثير من الإشارات والرموز الهامة. وتشير كل القرائن والأدلة إلى أن هذه الحادثة، هي قصة حقيقية وليست من نسج الخيال، كما يظن البعض.

وتبدأ القصة بدعوة الله يونان، لكي يذهب إلى مدينة نينوى، عاصمة الإمبراطورية الأشورية في العراق. ويدعو سكانها إلى التوبة، لأن شرهم قد صعد أمام الله. لكن يونان بدل أن يتوجه إلى نينوى قرر الهرب من الله. فذهب إلى مدينة يافا على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وهناك وجد سفينة متجهة نحو ترشيش. وكانت ترشيش مدينة تجارية هامة تقع في جنوب إسبانيا، وربما تكون هي نفسها مدينة قرطاجة في شمال إفريقيا. وهكذا صعد يونان إلى السفينة هربا من الله.

فما الذي حمل يونان على عدم إطاعة الله وعصيانه؟ لا يوجد سوى تفسير واحد ومعقول، وهو أن يونان كشخص يهودي لم يرغب أن يرحم الله شعب نينوى الوثني. فقد رأى يونان أن توجيه النداء إلى أهل نينوى، ربما يدفعهم إلى التوبة. وعندها سيرحم الله مدينة نينوى ولا يهلكها، الأمر الذي لا يريده يونان، كشخص يهودي.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

لكنّ الله لم يترك يونان يهرب ويفعل ما يشاء. لهذا أرسل ريحا شديدة إلى البحر ، وحدث نؤ عظيم حتى كادت السفينة تتكسر. فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه. ثم بدأوا بطرح الأمتعة إلى البحر. أما يونان فقد نزل إلى أسفل السفينة، واضطجع ونام نوما ثقيلا. فجاء إليه رئيس البحارة، وقال له: ما لك نائما ، قم أصرخ إلى إلهك ، عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك. وقرر البحارة بأن يلقوا قرعة ليعرفوا سبب هذه البليّة . فألقوا القرعة ، فوقعت القرعة على يونان. فسأله البحارة عندئذ عمن يكون هو، وما هو عمله، ومن أين أتى.

فأخبرهم يونان بقصته، وأنه هارب من وجه الله. فخاف البحارة كثيرا، وقالوا له لماذا فعلت هذا؟ وسألوه: ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنّا؟ فأجابهم اطرحوني في البحر فيسكن ويهدأ. ثم اعترف يونان قائلا: لأنني عالم أنه بسببي قد أتى هذا النوء العظيم عليكم. لكنّ البحارة ترددوا في البداية وصرخوا إلى الله قائلين: آه يا رب لا نهلك من أجل نفس هذا الرجل، ولا تجعل علينا دما بريئا. ثم أخذوا يونان وطرحوه في البحر. فوقف البحر عن هيجانه. فخاف البحارة من الله خوفا عظيما، حتى ذبحوا ذبيحة للرب. أما الله فقد أعدّ حوتا كبيرا ليبتلع يونان. وهكذا دخل يونان إلى جوف الحوت.

ومن جوف الحوت صلّى يونان إلى الرب إلهه، واستنجد به. لا بل ندم على عصيانه ، وتأكد أن الرب سيستجيب لصراخه. بدأ يونان صلاته بالقول: " **دعوت من ضيقي الرب فاستجابني. صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي.**" ثم ختم صلاته قائلا: " **أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك وأوفي بما نذرته. للرب الخلاص.**" (يونان ٢:٢،٩) وعندئذ أمر الرب الله الحوت فقذف يونان إلى الشاطئ، بعد أن بقي في جوف الحوت مدة ثلاثة أيام بلياليها. وسنتابع ما حصل مع يونان بعدئذ، في اللقاء القادم إن شاء الله.

حقا، إنها لحادثة غريبة ، أن يهرب نبي من وجه الله ، فيعد الله له حوتا كبيرا ليبتلعه. لكن الله يعود وينقذه بعد ثلاثة أيام ، بعد ندمه وتوبته. فإلى ماذا تشير وترمز هذه القصة الحادثة العجيبة؟

تقدّم مرة عدد من الكتبة والفريسيين، وهم من رجال الشريعة والمتدينين اليهود، إلى المخلص المسيح قائلين له: يا معلم نريد أن نرى منك آية أو عجيبة. أي أرادوا امتحانه، بالرغم من العجائب الكثيرة التي صنعها أمامهم. فأجابهم المسيح: "**جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولا تُعطى له إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان، في قلب الأرض ثلثة أيام وثلاث ليال.**"

إذن إن قصة يونان الغريبة هذه ، ما هي إلا إشارة ورمز واضحان، لموت المسيح، الذي هو ابن الإنسان، لموته الكفاري على الصليب، ثم لدفنه في القبر، وأخيرا إقامة الله له من جوف الأرض، في فجر اليوم الثالث. ولنلاحظ أن المخلص المسيح تحدث عن

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

موته وقيامته، وقبل حدوثهما بفترة زمنية واضحة. وهذا ما يؤكد أن حادثة صلب المسيح وقيامته الظافرة، ليست من نسج خيال البعض، أو إدعاء كاذبا نُشر فيما بعد.

لقد طلب أولئك المتدينون اليهود عجيبة، فأشار إليهم المسيح إلى عجيبة العجائب التي ستحصل. وهي موته الكفاري على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات. أجل، هذه هي أعظم وأهم عجيبة، صنعها الله لإنقاذ الجنس البشري، وهي أساس المسيحية وغرضها الأول. فلا وجود لمسيحية حقة ، بدون المخلص المسيح ، وموته الكفاري وقيامته الظافرة.

لعلّ السؤال الآن: لماذا سمح الله بموت المسيح وقيامته؟ أو لم تكن هناك وسيلة أخرى يستطيع بها الله تحقيق خطته الأزلية لإنقاذ الإنسان؟

للإجابة عن هذا السؤال الهام، علينا أن نعود إلى بداية الخليقة ، عندما خلق الله آدم وحواء. فمن المعروف أن آدم وحواء عصيا الله، وهكذا دخلت الخطية حياة الإنسان، وورثها بالتالي الجنس البشري بأكمله. وكانت نتيجة ذلك أن أصبح الجنس البشري بدون استثناء، مذنبا أمام الله، ومستحقا لدينونته وقصاصه الأبدي. ولم يكن أمام الله العادل المحب سوى وسيلة واحدة ينقذ بها الإنسان. أي وسيلة تجمع بين عدل الله ومحبته. ولهذا أرسل الله كلمته الأزلي، المخلص المسيح ، لكي يموت على الصليب ، وليأخذ العقاب الذي كان يجب أن يقع علينا نحن البشر الخطاة، أي ليموت بالنيابة عنّا.

وبذلك أظهر الله بكل جلاء عدله ، إذ عاقب المسيح على خطيتنا. وفي نفس الوقت أظهر محبته العظمى لنا نحن البشر الخطاة ، إذ قدّم المسيح وهو البار، ذبيحة أو كفارة من أجلنا. ولهذا كان لابد لله أن يقيم المسيح من بين الأموات، معلنا إكمال عمل الفداء، والانتصار على الخطية والموت وإبليس، وفاتحا أبواب الخلود لكل من يؤمن.

هل توجد مستمعي محبة أعظم من هذه المحبة؟ أن يموت المسيح كلمة الله الأزلي على الصليب عوضا عنك وعني، وأن يقوم من بين الأموات غالبا منتصرا لكي يهبنا الغفران والخلود؟ لم لا تأتي الآن مستمعي العزيز تائبا عن ذنوبك، ومؤمنا بعمل المسيح الكفاري من أجلك، وقيامته الظافرة من بين الأموات. وهكذا تنال الغفران والحياة الروحية الجديدة والخلود. فهل تراك تتوب وتؤمن ؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service